المشرق

درس العقائد المسيحيَّة

نظر للاب اوزباس نورين اليسوعي

قد اصدر آخرًا قداسة حبر الاحبار ورأس الكنيسة المنظور البابا بيوس العاشر رسالةً عجيبةً في بابها استوقفت انظار العالم الكاثوليكيّ بل اطرأها كل من يسعى في تهذيب الشعب واصلاح الهيئة الاجتماعيَّة ألا وهي الرسالة التي عنوانها « تعليم العقائد المسيحيَّة » بيَّن فيها الحبر الاعظم ما يترتَّب على درس التعليم المسيحي من الفوائد لدفع الجهل واثارة العقول وتقويم الارادة في سبيل الخير وملازمة الآداب الحسنة والاخلاق الجيدة واتمام كل الفرائض التي ينبغي على الانسان حفظها نحو خالقهِ وقريبهِ من سيّد ومسود ورئيس ومرؤوس ونحو نفسهِ ايضًا بسلوك جادَّة الصدق والاستقامة والتنكُّب عمَّا لا ترضى بهِ الذمَّة

على انَّ جريدة البشير قد نشرت هذه الطرفة النفيسة في عددها الصادرين في ٨ و ١٥ ايَّار وامر سيادة القاصد الرسولي بطبعها على حدةٍ لتعميم منافعها فلا نرى حاجةً الى تكرير الفاظها السجديَّة وانَّما نحيل القرَّاء الى مراجعتها ودرس مضامينها السامية. لكنَّنا احببنا في هذه النسبة ان نفرد لدرس العقائد المسيحيَّة فصلًا مستقلًا نضمّنهُ خلاصة تعليم اللاهوتيين ومعلّمي السيرة الروحيَّة في هذا الموضوع متتبّعين آثار قداسة الحبر الاعظم في الرسالة الموما اليها

*

انهُ لمن المعارم الثابت انَّ الدعوة الى الدين المسيحي لم تقُم بنشر الكتب المقدَّسة وتوزيع الاسفار المنزلة على رؤوس الاشهاد بل بالصوت الحيّ وتبشير الرسل وفقًا لامر السيد المسيح القائل لتلاميذهِ قبل صعودهِ (متَّى ٢٨ : ١٩) : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم . . . وعلّموهم جميع ما اوصيتكم بهِ » وهو كلام صريح يوافق تعاليم الرب وكل تصرُّفهِ مع رسلهِ مدَّة حياتهِ بينهم فانهُ عزَّ وجلَّ لم يكتفِ بأن يرشدهم بمثلهِ ويعلّمهم كما علَّم الجموع المتقاطرة الى استماع كلامهِ بل كان يخصُّهم بالتعليم فيشرح لهم امثالهُ ويفكّ لهم مشكلاتهم ويكرّر عليهم انهُ أُعطي لهم ادراك اسرار ملكوت الله وقد شبَّههم بملح الارض الذي يزيل تفاهة الطعام وبنور العالم المبدّد للظلام وبالسُّرج التي توضع فوق المكيال ليستنير بها كلُّ اهل البيت . وقد اراد فوق ذلك أن يدرّب تلاميذهُ على تعليم حقائق الخلاص اذ ارسلهم اثنين اثنين امام وجههِ ليعدّوا لهُ الطريق حيثما شاء ان يذهب واوصاهم بان يبشّروا بقرب مجيء ملكوت الله . وعلاوة على ذلك جعل لهم سلطةً كسلطتهِ فمن يسمع منهم كانهُ سمع منهُ ومن قبلهم كانهُ قبلهُ ويتهدَّد من يردّ دعوتهم بعقاب أليم يكون يوم الدين اعظم من عقاب سدوم وعمورة . وخلاصة القول انَّ المسيح قد اقام رسلهُ في رتبتهِ التعليميَّة وكما انَّ المسيح كان يُنتظر ليكون قائدًا للشعوب ومعلّمًا للامم ومبشّرًا للساكنين اقتضى الامر ان يكون رسلهُ كذلك

هذا فضلًا عن كون المسيح جعل رسلهُ وتلاميذهُ في رتبة كهنوتهِ الجديد بدلًا من الكهنوت الموسوي . ولا يخفى انَّ كهنة العهد القديم كانوا معلّمين ومرشدين لشعبهم وعنهم قال ملاخيا (٢ : ٧) « انَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة » . وكذلك تهدَّدهم بالرذل في نبوَّة هوشع (٤ : ٦) لتغاضيهم في تعليم الشعب . فيكون من البديهي انَّ المسيح اعطى لكهنة العهد الجديد في شخص رسلهِ حقّ التعليم ومهنة الارشاد ولولا ذلك لكان كهنوت موسى افضل من كهنوت ابن الله

وهذا ما فهمهُ الرسل اذ لم يمرّ عليهم بضعة ايَّام بعد صعود الربّ حتى أيّدهم الروح القدس بحلولهِ عليهم في العليَّة فاخذوا يعلّمون في الهيكل ثمَّ في ساحات اورشليم ثمَّ في بلاد اليهوديَّة ثمَّ في كل انحاء المعمور فصحَّ فيهم قول صاحب المزامير (١٨ : ٥) « في الارض كلها ذاع منطقهم وفي اقاصي المسكونة انبثَّ كلامهم » وكانوا يعتبرون التبشير

ونشر حقائق الايمان في مقدّمة واجباتهم حتى ان بولس الرسول كان يعدّ التبشير كفرض لازب لا ندحة لهُ منهُ وهو القائل (١ كور ٩ : ١٦) « الويل لي ان لم ابشّر » بل كان يفضّل التبشير على صبغ الموعوظين بالمعموديّة (١ كور ١ : ١٧) وقد اوضح ذلك بنوع صريح في رسالتهِ الى اهل رومية حيث يبيّن رتبة المرسلين في الكنيسة والحاجة اليهم في التبشير والتعليم قال (١٠ : ١٣—١٥) : « كل من يدعو باسم الربّ يخلص . وكيف يدعون الى من لم يؤمنوا بهِ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا بهِ وكيف يسمعون بلا مبشّر وكيف يبشّرون ان لم يُرسَلوا »

فترى من ثمَّ انَّ التعليم في كنيسة المسيح مبنيّ على اساس متين سوف يبقى ثابتاً مع بقاء الكنيسة التي لن تقوى عليها ابواب الجحيم

*

وان تصفّحنا تاريخ الكنيسة في اطوارها منذ ايّام الرسل الى يومنا وجدنا البيعة الكاثوليكيَّة لا تألو جهدها في نشر الحقائق الدينيَّة وطبعها في اذهان اولادها . وكانت عادتها ان لا تقيم معبدًا او معلًى الّا تنشئ بقربهِ مدرسةً لدرس العقائد المسيحيَّة وكانت الدار الاسقفيَّة في كل مدينة كمتدًى للعلوم الدينيَّة يعلّم فيها الاسقف عينهُ او الكهنة الذين يُعهَد اليهم بهذه المهنة او قوم من المعلّمين الذين تلقّنوا التعاليم الدينيَّة . وربَّما بلغت بعض هذه المدارس شهرةً عظيمة فكان يتوارد اليها الطلبة من الاماكن النازحة . وذلك حتى في ايّام الاضطهادات على عهد القياصرة كمدرسة الاسكندريَّة ومدرسة قيصريَّة . ولمَّا عاد السلام الى الكنيسة بتقصُّر قسطنطين انتشر التعليم الديني ايَّ انتشار لاسيَّما بعد نشأة الرهبانيَّات فتوفَّرت المدارس في الشرق والغرب ممَّا كفانا دليلًا على قولنا ذكر مدارس رومية والقسطنطينيَّة وانطاكية والرها ونصيبين

وكان لا يُعقد مجمع دينيّ دون ان يكرّر الآباء وصاتهم في التعليم وفتح المدارس حتى لو جُمعت القوانين التي أُبرزت في ذلك لما قلَّت عن مجلّدات ضخمة . وكانت همَّة الكنيسة بتعليم الفقراء وتهذيب العامَّة كاعتنائها في تعليم اصحاب الثروة وتهذيب الذوات وذلك امَّا بالارشادات العموميَّة التي كان يحضرها الجميع دون تمييز بين الغني والفقير وبين الكبير والصغير واماَّ بمدارس خاصَّة كانت تُلحق بالمكاتب العليا لتعليم اولاد العامَّة واحداث الامَّة

ومما يدلّ على هذه العنـاية بالفقراء عددٌ لا يُحصى من الاحبار الرومانيين ومن البطاركة والاساقفة ومشاهير الرهبان وكبـار المعلّمين وُلدوا في بيوت الفقراء فبلغوا في هذه المدارس العموميّة من حضيض الخمول الى ذروة الشرف فجلسوا بين امراء شعبهم وخلّفوا من بعدهم مآثر ادبيّة تنطق بفضلهم وتشهد لهم بسموّ المدارك

واتسع نطاق التعليم الديني خصوصاً بعد ظهور الرهبانيّات الغربيّة الكبرى من البنيدكتيين والدومنيكان والفرنسيسيين واليسوعيين فانّ كلًّا من ادبرتهم كان كصرح للعلوم الدينيّة ومنهل تستقي منهُ الشبيبة المسيحية على اختلاف أسرها. ولم يلبث ان ظهرت في الكنيسة عدّة رهبانيّات اخرى اقتطعت لتعليم الاحداث من الفقراء والقرويين كرهبانيّة آباء المدارس التقويّة واخوة المدارس المسيحيّة

وكان معظم همّ المرسلين في الشرق حيثما وُجدوا تربية الاحداث وتهذيب المسيحيين وتعليم جهّالهم . وما نراه اليوم من اعمالهم في هذه البلاد قد باشر بهِ المرسلون منذ ثلاثة قرون بنيّف كما يلوح من تاريخ هذه الرهبانيّات ومن عدد الذين تخرّجوا فيها فحدثت بين الطوائف الشرقية تلك النهضة الادبيّة التي نجتني اليوم اثارها الطيّبة. وكان الاكليروس غير القانونيّ يساعد الرهبان والمرسلين في هذه المهمّة الاثيرة فيجاروتهم في هذا الميدان الجليـل نخصُّ منهم بالذكر التلامذة المتهذبين في مدرسة انتشار الايمان ومدرسة الموارنة في رومية العظمى

وقد احسَّ البطاركة الاجلّاء ما يترتّب على تعليم العموم وتهذيب الاحداث بالاداب والمعارف الدينيّة من المنافع فتراهم في كل رسائلهم الرعويّة يكرّرون الوصاة للكهنة من هذا القبيل . وكذلك المجامع الشرقيّة الملتئمة في كل الطوائف فانهُ لم يُعقد مجمع ديني دون ان يخصّ الآباء فصلًا بهذا الامر الخطير ويسنُّوا لهُ عدّة قوانين فانّ في المجمع اللبناني بابًا عنوانـهُ « في التعليم المسيحي والتبشير بكلام الله » يأمر (ج ٢ ص ١٦) « الحوارنة وخدمة الرعايا وسائر من تُلقى عليهم الاهتمام بخلاص النفوس ان يقوموا بانفسهم او بواسطة من تكون فيهم الجدارة والكفاءة من سواهم عند وجود مانع لهم شرعي على تعليم ابناء رعاياهم ايّام الاحاد والاعياد . . . ويعلّموهم ما تلزم معرفتهُ الجميع من باب ضرورة الخلاص ويوضحوا لهم بعبارة موجزة خالية عن التعقيد ما يجب عليهم ان يتجاموهُ من الرذائل ويعتقوهُ من الفضائل وليتّخذوا لهم دستورًا في ذلك كتاب التعليم

المسيحي الروماني .. ومن اغفل اتمام هذا الواجب فليتزل به لسقمة التأديبات الكنسية . »

وكذلك (ص ١٧) يحتم المجمع على خدام الرعايا « ان يعنوا ايام الاعياد بجمع الاحداث والحدثات في الكنيسة . . وان يجتهدوا في اشرابهم مبادئ الايمان والتعليم المسيحي بكلام ساذج . . » كما انهُ يحتم « على المعلمين ان لا يغفلوا شرح اصول التعليم المسيحي في مدارسهم ولو مرَّة في الاسبوع » لا بل تُلزم الآباء الروحيين « بان يكرروا او يمكوا الحلّ على المسيحيين الجاهلين مبادئ دينهم . . . »

وقد تكرَّرت هذه الاوامر في المجامع التي عُقدت بعد ذلك . فانهُ قد جاء في البند السابع من اعمال المجمع المنعقد سنة ١٧٥٦ بامر البطريرك طوبيًا الحازن : « نأمر جميع كهنة الرعايا بان يعلّموا التعليم المسيحيّ » وكذا ورد في سائر المجامع المارونية

ولا تختلف في ذلك مجامع الروم الملكيين فانَّ المجمع الانطاكي المنعقد سنة ١٧٩٠ بهمَّة البطريرك اثناسيوس جوهر يصرّح بالامر قائلًا (المشرق ٨ : ٥٩ — ٦٠) : « لا بدَّ لكل كاهن من الاعتناء بقراءة اولاد رعيَّتهِ وان كان مشتغلًا بمهمّات الرعيَّة الروحيَّة ولم يستطع فليعتنِ بمعلم لهُ يفيدهم وانَّما التعليم المسيحي ومعرفتهم قواعد الايمان المقدَّس فليتمّمها هو بذاتهِ للاولاد الصغار والكبار ايضًا بالاوقات التي يخصصها لذلك . . وفي كلّ نهار احد وعيد يلتزم تحت ثقل ذمَّتهِ ان يعظ على رعيَّتهِ . . واذ لم يكن لهُ استطاعة لذلك فليعتنِ بواعظ يكتفل عنهُ هذا الالتزام »

وهذه الاوامر عينها بلفظها او بمعناها تجدها في الاعمال اللاتينيَّة من مجمع الشرفة للسريان (ص ٢٥٠) ومجمع مصر للقبط (ص ٢٠٨) في الفصل المختص بخدمة الرعايا وكلها تضطرُّ الكهنة الى ان يقوموا بفرائض التعليم المسيحي للاحداث وشرح العقائد الدينيَّة للشعب والقاء العظات مع تثقيل ذمَّتهم بالحلل الميت اذا تغافلوا عن هذه المهمَّة

ولم تكتفِ هذه المجامع بحضّ الكهنة على ذلك العمل المبرور بل كثيرًا ما تذكّر الابوين بضرورتهِ وتحثُّهما على القيام بهِ منذ نعومة اظفار اولادهم . وكذلك قد جعلت الكنيسة من فرائض الاشبين والاشبينة تهذيب ابنهما الروحي (الفليون) وتعليمهُ ليتخرَّج على الآداب السليمة منذ حداثة سنهِ ويعرف واجباتهِ نحو خالقهِ ونحو رؤسائهِ وتنشيطًا لكل من يسعى بتنقيه عقول الصغار وانارة العقول بالتعاليم الخلاصيَّة قد

نظمت الكنيسة هذه الخدمة في جملة اعمال الرحمة الروحيّة وخصّتها بانعامات عديدة ومنحت الغفارين للقائمين بها لتفيد المسيحيين بانهـا تفضل ترويض عقول الصغار وتعليمهم على اعمال الصدقة كما يفضّل الروح على الجسد

*

فترى مما سبق اعتبار الكنيسة واهتمامها العظيم بتعليم ابنائهـا العقائد الدينيّة . ولا غرو فانّ على هذا التعليم تتوقف سعادتهم في هذه الحياة وفي الآخرة

اما في هذه الحياة فلانّ الانسان يجد في معرفة الامور الالهيّة نورًا لعقلـه وقوّة لارادته وبهاتين القوّتين اعني العقل والارادة قوام الانسان الناطق وملاك حياته الادبيّة التي تفرزهُ عن الحيوان البهيمي

انّ التعليم المسيحي كما لا يخفى ليس الّا مجموعًا لحكمة الاجيال ومستودعًا للعقائد التي اتى بها ابن الله على الارض فاودعها كنيستهُ لتسلمها كما قال الانجيل « لكل انسان يأتي الى هذا العالم » . وقد ضمّنت الكنيسة خلاصة هذه المعتقدات في كتاب صغير دعتهُ لذلك بكتاب التعليم يجد فيهِ العقل البشري حلّ اكبر مشكلات حياته الحاضرة وابديّته . فليسمع القرّاء شهادةً لاحد كبار الملحدين قالها في ساعة صحا فيها عن سكرة اضاليله وهو « جان جاك روسو » فأطرأ الكتب التعليمية التي يتداولها احداث المدارس :

انّ في ايدي الاحداث كُتيبًا يعطى لهم ليستظهروا موادّهُ ويُسألوا عن مضامينـهِ في الكنيسة . فاقرأ هذا الكتاب الصغير الحجم المدعوّ بالتعليم المسيحي تجد فيهِ جوابًا لكل المطالب التي بحثتُ عنها دون استثناء . فاسأل ان شئت هذا المسيحي من ابن اصلُ الجنس البشري فهو يعرف ذلك . اسألهُ الى اين مصيرهُ فيجيبك على الفور . اطلب منهُ بايّ طريقة ينال الجنس البشري غايتهُ فجوابهُ حاضر . ألقِ على هذا الوليد اصعب المسائل لماذا هو على الارض ولماذا يحلُّ به بعد وفاتهِ فانهُ يجيبك جوابًا شافيًا وافيًا وان لم يدرك كلّ قوّتهِ ومعانيه السامية . سَلهُ كيف خُلق العالم ولاي غاية وما سبب وجود الحيوان والنبات على الارض وكيف انتشر البشر على وجه المعمورة وهل كان بدء التكوين بأبوين اوّلين او اكثر ولماذا يتكلم البشر لغات شتّى ولماذا تدهمهم الاوجاع والامراض ولماذا يحارب بعضهم بعضًا وكيف ينتهي كل ذلك فانّ هذا الصغير يعرف الجواب لكل اسئلتك لا يفوتهُ شيءٌ من معرفة المسائل التي شغلت عقول اكبر فلاسفة اليونان وقد جهلوا كثيرًا منها امّا هو فمع حداثة سنّهِ لا يشكّ في شيءٍ منها فيلم علمًا يقينًا اصل العالم واصل الجنس البشري واصل السلائل وغاية الانسان في دنياهُ وفي أخراه وفروض الانسان نحو الاله وواجباته نحو قريبهِ وحقوق البشر على المخلوقات فلا يجهل شيئًا . واذا كبر واعتبر الحقّ الطبيعي والحقّ السياسي والحقّ الدولي اجابك عن كل ذلك جوابًا مقنعًا لانّ كل هذه التعاليم تصدر من التعليم المسيحي كالماء من عينٍ وكالزهرة من

كنهها . افليس التعليم المسيحي ديناً عظيماً وهي تزوّد الولد منذ صغره بهذه المعارف السامية . التي تبدّد كل ظلام عقلي ؟ »

وكما انّ التعليم المسيحي ينير الاذهان فانهُ يقوّي ايضاً الارادة وينكبها عن جادّة الرذائل وعادّة الفساد ثم يبعثها الى ممارسة اسمى الفضائل . فلنسمع قول حبر الاحبار في رسالته الاخيرة وهو يوضح ما للتعليم المسيحيّ من المفاعيل العجيبة في تقويم الارادة وحملها على الصلاح . قال لله درُّهُ :

انّ الارادة لمّا كانت قد زاغت بفساد الخطيئة الاولى ونسيت نوعاً ما مبدعها فهي تحوّل كل اميالها الى خبّة الباطل والسعي وراء البهتان ومن ثم تفتقر هذه الارادة الثانية التي تسميها اميالها المنحرفة الى مرشد يدلّها على سواء السبيل حتّى تهتدي الى مسالك العدل التي تنكّبت عنها بسوء منقلبها وهذا المرشد انّما هو عقلنا الذي هيّأتهُ لنا الطبيعة لقيادتنا فان خلا العقل البشري من نور الحقيقي الذي هو معرفة الحقائق الالهيّة كان كالاعمى الذي يقود اعمى مثلهُ فيسقط كلاهما في الحفرة

وكل واحد يرى بعد امعان النظر انهُ لا بدّ من ان يكون الامر على ما ذكر لان الحكمة المسيحيّة تمرّننا بالله وبكمالاته غير المتناهية اكثر بكثير مما يمكن ان تُتيحهُ لنا قوى الطبيعة . وكيفيّة ذلك انّما تأمر بتكريم الله قضاء لحق الايمان الذي يتعلق بالعقل . ثم قضاء لحق الرجاء الذي يتعلق بالارادة . ثم قضاء لحق الرحمة الذي هو فضيلة القلب . وعلى هذا الوجه تُخضع الانسان بكماله الى هذا المبدع والمدبّر السامي

كذلك لا معرفة غير معرفة يسوع تطلعنا على حقيقة وسموّ منزلة الانسان الذي هو ابن الآب السماوي المدعو ليحيا معهُ الى الابد بالنعمة والسعادة . غير ان المسيح يستخلص من هذه المنزلة ومعرفتها ان البشر يجب عليهم ان يحبوا بعضهم كالاخوة ويعيشوا في هذه الدنيا كما يليق بالقديسين . . . ويأمر ايضاً ان نلقي على الله كل همنا لانهُ يرعانا وان نحسن الى المحتاجين ونصل الخير مع من يتعاضون عنّا ونوثر خير النفس الابدي على خيور هذه الحياة الزائلة . .

كذلك يرشدنا تعليم المسيح الى فطنة الروح التي بها نرذل فطنة الجسد . ثم الى العدل الذي به نعطي كل صاحب حقّ حقهُ . ثم الى القوّة التي تؤهلنا الى احتمال الشدائد والصبر على كل شيء بشجاعة من اجل الله والرقة في النعمة الابديّة . ثم الى القناعة التي بها نحبّ الفقر من اجل ملكوت الله ونتمجّد بالصليب محتقرين العار . فالنتيجة اذاً ان عقلنا يتلقى بواسطة الحكمة المسيحيّة النور الذي ينوّلنا ادراك الحقيقة . وكذلك ارادتنا تنتظم ايضاً بمحبّة زائدة تدفعها الى الله وتربطنا به بزاوية الفضيلة

على انا لا نقول ان خبائث النفس وفساد الاخلاق لا يمكنهما ان تجتمعا مع معرفة الديانة . نسأل الله ان لا تكثر الحوادث التي تؤيد ذلك وتثبتهُ . ولكنّنا نقول ان العقل اذا كان مكتنفاً بظلمات جهل كثيفة فلا يمكن وجود ارادة قويمة واخلاق جيدة . لانهُ اذا مشى الانسان وعيناهُ مفتوحتان يستطيع بلا ريب ان يزيغ عن الطريق السويّ اما الاعمى فانهُ متعرّض لخطر اكيد . فضلاً

عن ان فساد الاخلاق اذا كان نور الايمان غير منطفئ تمامًا قد يترك املًا بالتوبة. اما اذا اجتمع فساد الاخلاق مع فقد الايمان بالمجمل فقلما يفيد علاج وتكون طريق الهلاك مفتوحة

فمن هذا الكلام الاخير الخطير الروماني يظهر ايضًا انَّ درس التعاليم الدينيَّة لا يفيد فقط السعادة الزمنيَّة بل يرشح للسعادة العلويَّة وهو امرٌ بيِّن لا يحتاج الى برهان فان كان التعليم المسيحيّ ينير العقل فيُظهر له حقائق الخلاص ثم يشدُّ أزر الارادة في ممارسة الفضائل والاعمال الصالحة فلا يبقى للذي يعيش عيشةً بارَّة بموجب نور عقله مضافًا الى نور الايمان الَّا ان ينال الجزاء على حياته المبرورة ويسمع قول الربّ للعبد الامين التاجر بالوزنات التي أُعطيت له ويدعوه الى الدخول الى فرح سيده

ثبت اذن ان لتعليم العقائد الدينية فعلًا كبيرًا في تهذيب قلب المسيحي وارشاده الى الصلاح. وليس تأثيره في الجمعية النصرانية بازهد واقلّ وذلك لأن الهيئة الاجتماعية تتألَّف من الافراد فان كان الافراد صالحين صلحت ايضًا حال الجموع. وزد على ذلك انَّ التعليم المسيحيّ لا يبحث فقط عن واجبات المسيحي وحقوقه كشخص منفرد بل ايضًا عن فرائضه من حيث هو احد اعضاء جسم ادبيّ عظيم هو المجتمع الانساني يندبه له ان يسعى بخيره العامّ ويضحي في سبيله كثيرًا من منافعه الخاصَّة. ولولا ذلك لانتقض حبل الجمعيَّة البشريَّة وضحّي خير العموم لاغراض شخصية صاننا الله من مثل هذا الخطر العظيم والبلاء الجسيم

*

هذا وان كان درس الحقائق الدينيَّة لازمًا في كل الازمنة الَّا انهُ الزم واشدُّ ضرورةً في أيامنا. وذلك لدواعٍ: منها نموُّ الرفاهية وخفض العيش بتوفر اسباب الراحة وكثرة الاختراعات وسرعة المواصلات بحيث لم يعدْ الفقير نفسهُ يقنع بحاله فيطمع بما تراهُ عينهُ من وفرة الخيرات المادِّيَّة وينسى انَّ هذه الدنيا ليست بدار قرار وانَّما هي معبرة لحياة اخرى افضل منها خُلق لاجلها. فان لم تتأصل في قلبه حقائق الدين جعل سعادتهُ في حطام الدنيا

ومنها ايضًا انَّ سذاجة الايمان التي كانت تصون اباءنا قديمًا من هجمات الملحدين لم تعد في يومنا كافيةً لتردّ غاراتهم مع كثرة المطبوعات التي تُنشر في عهدنا مخالفةً للدين ومفسدةً للآداب وناكرةً اثبت الحقائق واصدقها كوجود الخالق عزَّ وجلَّ وخلود النفس

والعقاب والثواب. فليت شعري إنْ كان المسيحي لم يطبع في قلبه منذ صغر سنه هذه الحقائق قوّضتها الاهواء وذهبت بها ريح الاضاليل والمبادئ الفاسدة والتعاليم السفسطيّة لاسيما اذا غلبت عليه امياله المنحرفة فيستولي على قلبه الشكوك وينبذ بعد حين المعتقدات التي لم ترسخ في ذهنه. فيجب اذن درء لهذه المخاطر ان يُرسخ ارباب الدين العقائدَ المسيحية في قلوب المؤمنين ليستطيعوا ان يحافظوا على مبادئهم بل يؤدوا احتجاجاً لكل من يسألهم حجج الرجاء الذي فيهم كما يقول القديس بطرس الرسول

فنشكر اذن قداسة الحبر الاعظم بيُوس العاشر الشكر العميم اذ استانت انظار رُعاة الكنيسة الى هذا الامر الخطير اعني نشر التعاليم المسيحية وتفسير اصول الدين للعامّة والسذّج والاحداث لئلّا يذهبوا فريسة الجهل ويمرقوا عن الدين الذي هو اثبت ركن للدول واقوى اساس للهيئة البشريّة

*

اما الطريقة لالقاء هذه التعاليم الخلاصيّة فتختلف حسب الامكنة وبمقتضى الظروف. فانّ خادم النفوس يلزمهُ ان يوفق تعليمهُ على درجة عقول سامعيه من كهول او شبّان او احداث ويشرح لكلّ طبقة واجباتها الخاصّة. والتعليم يكون تارةً على طريقة المواعظ وطوراً على طريقة الارشادات القريبة المنال وحيناً تُلقى الاسئلة على الحضور فيجيبون عنها ويبدّد الكاهن ما يراه فيها من الخلل. وطوراً يستعين بالتصاوير الملوّنة التي رُسمت لهذه الغاية فيشرح مضامينها. اما الاحداث من الفتية والفتيات فلا بُدَّ ان يلقّنوا حرف التعليم المسيحي ويكرّروه على مسامع المعلم. واذا اتفق تُعقد لهم حفلات في الكنيسة او في المدارس ليلقوهُ امام الحضور ويُعطَوا الجوائز اذا استحقّوها

فانَّ هذه الوسائل وغيرها ايضاً مما يخطر على بال الكهنة الغيورون من شأنها ان تبعث الهمم وتشدّ العزائم وتُنمي روح الايمان. ونحن نتذكّر بالخير كثيرين من ارباب الدين الذين عرفناهم وكانوا لا يَدّعرن اسبوعاً واحداً دون ان يخصّوا ساعةً او ساعات لهذه المهنة الشريفة. بل لم يأنف الاساقفة القديسون من مثل هذه الارشادات التعليميّة لاسيّما في ابّان زياراتهم للابرشيّة. ولنا في تاريخ الشرق مثلٌ جليل في شرح التعليم المسيحي الذي ابقاه لنا القديس كيرلّس البطريرك الاورشليمي من مشاهير القديسين في القرن الرابع.

وهو لعمري نعم الاثر يدلُّ على اعتبار اساقفة الشرق لتعليم الحقائق الدينيَّة على طريقة ساذجة

ولا يظنَّنَّ خدَمة النفوس انَّ تلقين التعليم المسيحي لا يقتضي درساً او علماً كبيرًا فانَّ الامر على خلاف ما يتوهَّمون اذ انهُ لأسهل ان تُلقى على الحضور المواعظ الادبيَّة والخطب البليغة من شرح قضايا التعليم بضبط ودقَّة وتأييدها بالبراهين العقليَّة والشواهد النقليَّة وحلّ الاعتراضات الشائعة فيها وتقريب كل ذلك الى عقول السامعين من أُميّين وأحداث وسذَّج دون ان يجد العقلاء في شروح المفسِّر مغمزًا

وفي الختام نبدي الامل الوطيد في انَّ كل رعاة الكنائس الشرقيَّة من بطاركة واساقفة وكهنة ومعلّمين يلبُّوا دعوة الحبر الاعظم ويتَّخذوا كل الوسائل لتحقيق امانيهِ فيجدّدوا نشاطهم ونشاط مرؤوسيهم من هذا القبيل عالمين انَّ خلاص رعاياهم متوقف في الغالب على تعليم حقائق الدين. وان كان لا يضيع جزاء من يُعطي باسم الرب قدح ماء بارد لعطشان فكم يكون عظيمًا اجرهم بتعليم قضايا الدين لالوف من الجهَّال قال دانيال النبيّ (١٢ : ٣) : « انَّ الذين يرشدون كثيرين الى البرّ يضيئون كالكواكب الى الدهر والابد » لاسيَّما اذا كان مثلهم مؤيدًا لتعليمهم. لانَّ الذي يعمل ويعلّم فهو الكبير في ملكوت السماوات

موشَّح

الغريب التائه

ينظم الشاب الاديب سليم ايوب النحوي احد طلبة مدرسة الحكمة الزاهرة

١ تائهٌ يضرب ما بين الطلولْ منحني الراس اخو جفنٍ بليلْ
قلبهُ من شدَّة الحزن عليلْ يطلب المأوى ولا يُرضَى تزيلْ
لا معينٌ لا رفيقٌ لا دليلْ لا صديقٌ لا شفوقٌ لا خليلْ
رافقَ اللهُ الغريب التائها

٢ وحده يسري وقد ساد الظلامْ ليس يلقى موضعًا فيهِ ينامْ